المحاورة الدينيّة

التي جرت بين الخليفة المهدي وطيماثاوس الجاثليق

توطئة

هذه المحاورة شهيرة في تاريخ النساطرة منها عدّة نسخ في مكاتب اوربّة كباريس وروميه وفي مكتبتنا الشرقيّة منها نسختان فأحببنا نشرها وهي من أقدم الآثار النصرانيّة في ايّام الخلفاء العبّاسيين. والمهدي المذكور هنا هو الخليفة ابو عبدالله محمّد بن عبدالله المنصور وثالث خلفاء بني عبّاس الذي تولّى الامر في بغداد بعد المنصور من السنة ١٥٨ الى ١٦٩ هـ (٧٧٥-٧٨٥م). امّا طيماثاوس فهو طيماثاوس الاوّل من اعظم جاثالقة الكلدان النساطرة الذي دبّر ملّتهُ مدّة ٢٣ سنة في ايّام الخلفاء المهدي ثمّ الهادي ثمّ الرشيد الى ايّام المأمون وتوفّي سنة ٨٢٣م وله عدّة آثار باللغة الكلدانيّة نُشر منها بعضها بالطبع. ولعلّ المحاورة التي ننشرها هنا اصلُها بالكلدانيّة ثمّ عُرّبت بعد وفاته بزمن. وترى في شروطها ومضامينها من المعاني البليغة والاجوبة السديدة ما يدلُّ على سعة علوم صاحبها ورسوخ قدمهِ في امور الدين رغمًا عن مذهبهِ النسطوري

ل . ش

وهذه المحاورة في الاصل رسالة رجمها طيماثاوس الى احد اصدقائهِ يقول فيها هكذا :

اننا قد دخلنا قبل هذه الايام الى حضرة ملكنا المظفّر وعندما تكلّمنا عن الطبيعة الالهيّة وأزليّتها قال لنا الملك ما لم نسمعهُ منهُ قط وهو : ايّها الجاثليق لا يليق برجل مثلك عالم وذي خبرة ان يقول عن الله تعالى انّهُ اتخذ امرأةً وولَدَ منها ابناً فجاوبناهُ قائلين: يا ايّها الملك محبّ الله من هو ذاك الذي أتى بكذا تجديف عن الله عزّ وجلّ ؟

فحينئذٍ الملك المظفّر قال لي: فماذا تقول اذًا عن المسيح مَن هو ؟

فجاوبنا الملك قائلين : انّ المسيح هو كلمة الله الذي ظهر بالجسد لاجل خلاص العالم

ثم سألني ملكنا المظفّر : أمَا تعتقد ان المسيح هو ابن الله ؟

فقلتُ: اننا نعتقد ذلك دون شك لان هكذا تعلّمنا من المسيح نفسهِ اذ هو مسطور عنهُ في الانجيل والتوراة والانبياء انّهُ ابن الله لكنّ ولادتهُ ليست كالولادة الجسديّة

نية بل هي ولادة عجيبة تفوق ادراك العقل ووصف اللسان كما يليق بالولادة الالهية

فسأل ملكنا المظفّر : وكيف ذلك ؟

فقلنا ان المسيح هو ابن الله ومولود قبل الدهور فلا نستطيع ان نفحص عن هذه الولادة ولا ان ندركها لان الله غير مُدرَك في جميع صفاته . ولكن نأتي بتشبيه ما مأخوذ من الطبيعة فكما تتَّلد الاشعَّة من الشمس والكلمة من النفس هكذا المسيح بما انه كلمة الله ولد من الاب قبل الدهور

فقال لي ملكنا المظفّر : أمَا تقولون ان المسيح وُلد من مريم البتول ؟

فجاوبنا قائلين : اننا نقول ونعتقد بان المسيح مولود من الآب بما انه كلمتهُ ومولود من مريم العذراء بما انهُ انسان وولادتهُ من الآب هي ازلية قبل كل الدهور . وولادتهُ من مريم هي زمنيّة دون أب ومن غير زواج وبدون انثلام بتولية امّهِ

فملكنا محبّ الله قال لي : ان ولادة المسيح من مريم بغير زواج هي مكتوبة ومقرَّرة : ولكن كيف يمكن ان تكون هذه الولادة دون انثلام بتولية الوالدة ؟

فجاوبنا الملك وقلنا : ان هذا الامر نظرًا الى الطبيعة هو محال وغير ممكن ان يصير دون انثلام البتولية . ولا يمكن ان يتَّلد انسان ولا ان يُحبَل به اصلًا بغير اشتراك رجل مع امرأة . واما نظرًا الى قدرة خالق الطبيعة فستطاع ذلك اي ان البتول تلد بدون انثلام بتوليتها لان الله سبحانهُ قادر على كلّ شيء وليس عندهُ امر عسير

ولنا برهان على ذلك في الكتاب وفي الطبيعة اللَّذين يُوضحان لنا انهُ تمكن ولادة انسان دون انثلام بتولية الوالدة . (اوّلًا) من الكتاب قد نطق ان حوّاء قد أُخرجت من ضِلعَة آدم دون ان تنشقّ تلك الضلعة . والمسيح عليه السلام قد صعد الى السماء دون ان يشقّ الجَلَد (١) . فهكذا مريم البتول ولدت ابنها دون ان تنثلم بتوليتها ويعتريها ضرر . (ثانيًا) من الطبيعة فان الاثمار تولد من الاشجار والنظر من العين والروائح من الزهور دون انشقاق وانفصال بعضها من بعض . وكذا تتَّلد الاشعة من الشمس . فعلى هذا المنوال قد ولد المسيح من مريم دون ان تنثلم بتوليتها . وكما انَّ ولادتهُ الازليَّة فائقة عن العقل هكذا ولادتهُ الزمنية هي عجيبة

---

(١) هذا محمول على اعتقاد القدماء بأنَّ السماء شبه الزجاج الهيولي . وكان الاولى بهِ ان يذكر خروج المسيح من قبرهِ والقبر مختوم ودخولهُ الليَّة والابواب مقفلة

فقال لي ملكنا : كيف ذلك؟ أأزليٌّ ولد زمنيًّا ؟

فجاوبنا قائلين : ان المسيح ليس بما انه ازليٌّ مولودًا من مريم بل بما انه زمنيٌّ وبشريٌّ

فحينئذٍ قال لي ملكنا المظفر : فالمسيح اذًا هو اثنان الواحد زمنيٌّ والآخر ازليٌّ . فالازلي هو إله من إله حسب قولك والزمني هو انسان من مريم

فجاوبنا قائلين : أيها الملك ان المسيح ليس باثنين ولا بأبنين بل مسيحٌ واحد وابنٌ واحد ذو طبيعتين إلهية وانسانية من حيث هو كلمة الله واتخذ جسدًا بشريا وصار انسانًا

وعندها قال الملك : بل المسيح هو اثنان الواحد مخلوق ومصنوع والاخر ليس بذلك

فقلتُ له : اننا نقرّ بان المسيح ذو طبيعتين مميَّزتين احداهما من الاخرى ولكن نعتقد ايضاً ونقرُّ انهُ من هاتين الطبيعتين مسيح واحد وابن واحد يُعرَف

وملكنا جاوبنا قائلًا : فان كان المسيح واحدًا فليس باثنين وان كان اثنين فليس بواحد

امَّا نحن جاوبناهُ على ذلك بهذا البرهان وهو : كما ان الانسان هو واحد من جهة التركيب والاتحاد وهو اثنان ايضاً من جهة النفس والجسد اللذين هما طبيعتان مميَّزتان احداهما مركَّبة ومنظورة والاخرى بسيطة غير منظورة . هكذا كلمة الله بتجسُّدهِ صار ذا طبيعتين مميَّزتين احداهما إلهيَّة والاخرى انسانيَّة كما قلنا . ومع ذلك لا يزال ان يكون مسيحاً واحدًا وابناً واحدًا من أجل وحدانية شخصه

فملكنا المظفَّر قال لي : اما قال عيسى عليه السلام انني سانطلق الى إلهي وإلهكم؟

ونحن جاوبنا قائلين ان مخلّصنا اتى بهذه الآية حقيقةً ولكن توجد آية اخرى مسطورة قبلها التي تستحقُّ الذكر وهي (يوحنا ٢٠ : ١٧) : « انني سامضي الى ابي وابيكم والى إلهي وإلهكم »

فقال ملكنا : انهُ يوجد تناقض ههنا كيف يمكن ذلك فان كان اباهُ فليس بإلهه . وان كان إلههُ فليس بابيه

فنحن جاوبناهُ قائلين : أيها الملك محبٌّ الله لا يوجد هنا تناقض البتَّة لانهُ بما انهُ ابوهُ طبيعيًّا فليس هو إلههُ بالطبيعة . وبما انهُ إلههُ بالطبيعة فليس هو اباهُ طبيعيًّا . بل هو

ابوهُ بالطبيعة الالهية اذ هو وَلَدَهُ ازليًا كالتلاد الاشعة من الشمس والكلمة من النفس وهو ايضاً إلههُ نظرًا الى الطبيعة البشرية اذ هو مولود من مريم زمنيًا . فواحد هو المسيح ولهُ والدان احدهما ازليٌ والآخر زمنيٌ

– فملكنا المظفر قال لي : كيف يمكن ان الروح يَلِد اذ ليس لهُ اعضاء الولادة ؟

جاوبناهُ : كيف يمكن ان الروح يخلق اذ ليس لهُ اعضا فاعلية ؟ فكما انهُ خلق البرايا بدون هذه الاعضاء هكذا ولد الكلمة دون اعضاء الولادة . ومثلما ان الشمس تلد الاشعة من النور دون اعضاء فاعلية هكذا الله عزّ وجلّ قادر ان يلد ويخلق ولو انهُ روح بسيط محض وغير مركب فيلد الابنَ ويُصدر الروحَ من جوهرهِ كما ان الشمس تُصدر النور والحرارة

ثم قال لي ملكنا : أتؤمن بالآب والابن والروح القدس ؟

فجاوبتهُ : نعم

فقال لي : فانك اذًا تؤمن وتعتقد بثلثة آلهة ؟

فجاوبناهُ قائلين : ايها الملك ان الاعتقاد بهذهِ الاسماء الثلاثة هو الاعتقاد بثلثة اقانيم اعني الآب والابن والروح القدس الذين هم إله واحد وطبيعة واحدة وجوهر واحد كذا نؤمن ونعتقد على ما علّمنا صريحاً عيسى عليهِ السلام . وتعلّمنا ذلك ايضاً من الانبياء ولنا برهان على ذلك في المخلوقات . فكما انَّ ملكنا محبّ الله هو واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلثة ملوك ولا يمكن ان ينفصل منهُ كلمتهُ وروحهُ ولا ان يسمّى ملكاً دون الكلمة والروح هكذا الله تعالى انهُ واحد مع كلمتهِ وروحهِ وليس بثلاثة آلهة اذ لا يمكن ان ينفصل منهُ الكلمة والروح . كذا الشمس مع اشعتها وحرارتها هي واحدةٌ وليس بثلاث شموس

حينئذٍ قال لي الملك : هل ينفصل الكلمة والروح من الله ؟

فجاوبناهُ : حاشا وكلّا فكما ان الاشعة والحرارة لا تنفصلان من الشمس قطعاً هكذا كلمة الله وروحهُ لا ينفصلان منهُ ابدًا . وكما انهُ اذا انفصلت اشعة الشمس وحرارتها منها يزول نورها وحرارتها ولا يمكن ان تُدعى شمساً هكذا الله سبحانهُ اذا انفصل منهُ الكلمة والروح يكون لا ناطقاً ولا حيًا . واما الناطق فلا يقال عنهُ انهُ معدوم الحياة والروح . فان تجاسر احدٌ وقال عن الله انهُ كان موجودًا في زمانٍ ما دون

الكلمة والروح فقد جدّف لان الله سبحانهُ منذ الازل كان لهُ الكلمة مولوداً كينبوع النطق وكان ينبثق منهُ الروح سرمدياً كينبوع الحياة

وملكنا قال لي: هل لك بيّنات كتابيّة على ان الكلمة والروح كانا في الله منذ الازل؟

فجاوبناهُ قائلين: لنا على ذلك بيّنات شتى: (اوّلاً) من كُتب الانبياء قد قال داود النبي (مزمور ٣٢: ٤): «بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فيهِ كل جنودها». وقال ايضاً (في مزمور ٥٦): «أُسبّح لكلمة الله». ثم اذ يعلّم عن قيامة الاموات يقول (مز ١٠٣: ٣٠): «ترسل روحك فتُخلق وتجدّد وجه الارض» فهنا لم يكن داود النبي ليمجّد ويسبّح للخليقة ولا يُسمّي المخلوق والمجبول خالقاً ومجدّداً. وفي مكان آخر يتكلّم عن كلمة الله انهُ ليس لهُ بداية ولا نهاية اذ يقول (مز ١١٨: ٨٩): «الى الابد يا رب كلمتُك مثبتة في السموات». وهكذا ايضاً اشعيا النبي مثل داود يتكلم عن كلمة الله اذ يقول (اش ٤٠: ٨): «يبس الحشيش وذبل الزهر واما كلمة الهنا فتدوم الى الأبد».

(ثانياً) من الانجيل المقدس (يوحنا ١: ١): «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله». ثم عن الروح يقول هكذا (يو ١: ٤): «فيهِ كانت الحياة والحياة كانت نور البشر». اعني في الله الكلمة والحياة يريد بها الروح. واما قولهُ «كان الكلمة» لا يشير بذلك أنّ لهُ بداية بل يعني انهُ كان قبل الدهور. ثم بالكلمة لا يدلّ على خلقتهِ بل على ازليته على انهُ غير مخلوق. واذا كان الروح هو الحياة فالحياة موجودة في الله منذ الازل فالروح اذاً موجود في الله ازليّاً وروح الله فهو حياة ونور للبشر

ثم عيسى عليهِ السلام لما كان يخاطب اباهُ قال (يوحنا ١٧: ٥): «الآن مجّدني يا ابتاه بذاك المجد الذي كان لي عندك من قبل انشاء العالم». فبهذا يثبت انهُ كان لهُ مجدٌ قبل كل الخلائق وليس لمجده بداية من حيث يقول «بذاك المجد الذي كان لي عندك قبل انشاء العالم». وحينما عرّج الى السماء أمر الحواريين قائلاً (متّى ٢٨: ١٩): «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس». فعيسى عليهِ السلام لم يكن ليُحصي المخلوقات مع الخالق ولا الذي هو زمنيّ مع الذي

ليس له بداية ولا نهاية. وكما ان الاشياء المختلفة بالطبيعة كالشمس والحجر والفرس واللؤلؤ والنحاس الخ لا يحصيها المتطقيون بعضها مع بعض بل يعدّون مثلاً ثلثة لآلئ مع بعضها او ثلثة نجوم مساوية لبعضها بالطبيعة وتشبهُ بعضها بعضاً في كل شيء هكذا المسيح لم يقدر ان يعدّ الكلمة والروح مع الله لو لم يعرف انهما متساويان بالطبيعة والّا كيف يمكن ان يساوي اللهَ بالاكرام والسلطان الملكي ذاك الذي ليس هو إله بالطبيعة. وهل يشترك بالجوهر من هو زمنيّ مع الازليّ اذ ليس للعبد ان يشتركوا بالاكرام الملكي بل للبنين

ثم قال لي ملكنا: ايُّ تمييز يوجد بين الابن والروح وكيف إنّ الابن ليس بالروح والروح ليس بالابن اذ لا يوجد فرق عند الله بان يكون مُولِدًا او مُصدِرًا لانك قلتَ « انهُ بسيط وغير مركب »

فجاوبناهُ قائلين: ايها الملك إنّ الاقانيم نظرًا الى الجوهر لا يوجد بينهم تمييز البتّة ولكن نظرًا الى بعضهم بعض يوجد هذا التمييز وهو إنّ الواحد لهُ خاصّة ان لا يولد والآخر أن يولد والاخر ان ينبثق فالآب هو مبدأ للابن والروح القدس معاً فيلد ذاك ويُصدر هذا منذ الازل وذلك ليس بانفصال وانقسام جسميّ ولا بواسطة الاعضاء. الولدة والمُصدرة على ان الله ليس بمركب ولا بجسم. والانفصال والاعضاء تُقال عن الاجسام وكل جسم هو مركب فاذًا الانفصال والاعضاء هي مختصة ايضاً بالاشياء المركبة والاجسام. والله ليس بذلك فاذًا لا يمكن ان يعتريهُ تعالى شيء من الانفصال والانقسام المذكورَين. ولنا تشبيه آخر في الطبيعة وهو إنّ من النفس تتّلد الكلمة وتصدر المحبّة دون انفصال وبلا واسطة الاعضاء. والمحبة مميّزة عن الكلمة والكلمة ليست بالمحبة. وكذا الشمس فانها تُصدر النور والحرارة وليس ذلك بانفصال او باعضاء مخصصة فالنور يتّلد كلهُ من الشمس كلّها والحرارة تصدر من دائرة الشمس كلّها. ثمّ انّ الكلمة والمحبة باسرهما موجودتان عند النفس. والنور والحرارة كذلك هما عند الشمس ولا يختلط النور بالحرارة ولا الحرارة تختلط بالنور. كذا الكلمة والروح الواحد يتّلد والاخر يصدر من الله الآب ليس بانفصال ولا بواسطة اعضاء مخصصة بل بنوع غير مدرك وغير محدّد والابن لا يكون الروح والروح لا يكون الابن نظرًا الى خاصّتهما. ثم كما ان الرائحة والذوق يصدران من التفّاحة فليس الرائحة

تصدر من جزء والذوق من جزء اخر بل كلاهما يصدران من التفاحة كلها فالذوق لا يكون الرائحة ولا الرائحة تكون الذوق. هكذا يتلد الابن من الآب ويصدر منهُ الروح بنوع غير محدَّد اعني الازليّ يخرج من الازليّ وغير المصنوع يصدر من غير المصنوع فالآب والابن والروح القدس لا ينفصلون من بعضهم بعض ولا يمتزجون ولا يختلطون ويتميَّزون بالاقانيم ويتساوون بالطبيعة لان الله تعالى هو واحد بالجوهر والطبيعة ومثلَّث بالاقانيم

ثم قال لي ملكنا: ان كان الاقانيم لا ينفصلون ولا يفترقون من بعضهم بعض فاذاً الآب والروح القدس تجسَّدا مع الكلمة ؟

فجاوبنا قائلين: كما ان كلمة الملك اذا اتحدت اي سُطرت في القرطاس ليس يقال عن نفسهِ وذهنهِ انهما اتحدا اي رُسما في القرطاس مع ان نفسهُ وذهنهُ لا ينفصلان من كلمتهِ. هكذا كلمة الله اتخذ جسداً من دون ان ينفصل ويفترق من الآب والروح القدس ولا يقال عن الاب والروح القدس انهما اتخذا جسداً. وكما ايضاً ان الكلمة التي تتلد من النفس تلبس الصَّوت بواسطة مفعولات الهواء من دون ان تنفصل من النفس والذهن. ولا يقال عن النفس وعن الذهن انهما لبسا الصوت اذ لا واحد يقول قط «انني سمعتُ نفس فلان او ذهن فلان» بل يقول «سمعت كلمة فلان التي ليست بعيدة عن النفس والذهن ولا تنفصل وتفترق منهما». كذا كلمة الله اتخذ جسدنا ولا انفصل ولا ابتعد عن الآب والروح ولا يقال قط عن الآب والروح انهما لبسا مجسد مع الكلمة

وبعد ما شرحنا ذلك قال لنا ملكنا: من هو رأسك ومرشدك ؟

جاوبتهُ: انهُ يسوع المسيح عليهِ السلام

ثم سألني الملك: هل ان المسيح كان مختتناً ام لا ؟

فجاوبتهُ: نعم

فقال لي الملك لماذا اذاً انت لا تختتن اذا كان رأسك ومرشدك يسوع المسيح قد اختتن فيلزمك من الضرورة ان تختتن انت ايضاً

فجاوبتهُ قائلاً: ايها الملك ان يسوع المسيح قد اختتن واعتمد ايضاً وختانتهُ كانت بعد ثمانية ايام حسب امر الناموس وعمادهُ صار بعد ثلاثين سنة تقريباً وابطل

الختانة بعماده فالمسيح حفظ الناموس كلهُ ليجذب اليهود الى الخلاص وانا لستُ ملتزماً بان أحفظ الناموس الّا الانجيل. فلأجل ذلك ولو كان المسيح قد اختتن فانا لا اختتن بل اعتمد بالماء والروح مثلهُ واعتقد به لأن المسيح اعتمد فالضرورة تلزمني بالعماد وبذلك اترك الظلمة والرمز واتبع الاصل والحقيقة

ثم سألني الملك : كيف ابطل يسوع عليهِ السلام الختان وما هو الرمز الذي قلت عنهُ ؟

فجاوبتهُ : ايها الملك انَّ التوراة بأسرها كانت رمزاً للانجيل . والذبائح التي كانت مسطورة في الناموس كانت رمزاً لذبح المسيح. ثم الكهنوت وحبريّة الناموس كانتا رمزاً لكهنوت المسيح وحبريّته والختانة الجسديّة كانت رمزاً لختانته الروحيّة . وكما ابطل بانجيلهِ التوراة وبذبحهِ الذبائح وبحبريّتهِ الحبريّة الناموسيّة هكذا قد ابطل الختانة التي كانت تكمل بفعل الايادي البشريّة بختانته (اي بعماده) التي لم تصر بفعل ايادي البشر بل بقوّة الروح القدس وهي سرٌ من أسرار ملكوت السماء ورمزٌ عن القيامة من بين الاموات

فقال لي ملكنا : اذا كان عيسى عليهِ السلام أبطل الناموس وجميع اوامرهِ فاذاً كان عدوّاً لهُ ومضاداً لان الضادة تقال عن الاشياء التي تنقض بعضها بعضاً ؟

فجاوبتهُ قائلين : كما انَّ ضياء النجوم يبطل بنور الشمس والافعال الطفوليّة بافعال الرجوليّة والكمال والملكوت الارضي بالملكوت السماوي فلا يقال انَّ الشمس هي مضادة للنجوم او الانسان لذاتهِ او ملكوت الله للملكوت البشر هكذا لمّا ابطل عيسى عليهِ السلام الناموس الموسوي بانجيلهِ ليس هو مضاداً لهُ ولا عدوّاً

فلكنا قال لي : من حين ولادة عيسى عليهِ السلام الى صعودهِ الى السماء اين كان يصلّي ويسجد أليس في البيت المقدس وفي اورشليم ؟

فجاوبتهُ : نعم

فقال لي الملك : فلماذا انت تسجد وتصلّي لله في المشرق ؟

فجاوبتهُ : ايها الملك إنَّ السجدة الحقيقيّة هي التي تصير من البشر لله في ملكوت السماء وان الفردوس الارضي كان رمزاً عن الجنة السموية والحال ان الفردوس كان

في الشرق فاذاً بالصواب نحن نسجد ونصلّي في الشرق حيث كان الفردوس الارضي الذي كان رمزاً عن الجنّة كما قلنا (١

حينئذٍ قال لي ملكنا : ماذا تقول عن عيسى عليهِ السلام هل صلّى هو ايضاً وسجد ؟

فجاوبناهُ :نعم هو ايضاً صلّى وسجد

ثم قال لي ملكنا : انك بهذا القول تنكر لاهوت المسيح . ان كان قد صلّى وسجد فليس بإله وان كان إلهاً فلم يصلِّ ولم يسجد؟

فجاوبناهُ : بما انهُ اله لم يسجد ولم يصلِّ بل لهُ يُسجدَ ويُصلّى . وبما انه انسان سجد وصلّى وقد بيّنا آنفاً انهُ اله وانسان معاً

بعد ذلك ملكنا انتقل من هذا البحث الى موضوع آخر وقال لي: ما هو السبب انك تقبل المسيح والانجيل من شهادة التوراة والانبياء ولست تقبل شهادة المسيح والانجيل عن محمّد عليهِ السلام؟

فجاوبتهُ قائلاً :أيها الملك اننا اقتبلنا عن المسيح شهاداتٍ كثيرة من التوراة والانبياء جميعهم يشهدون اتّفاقاً على ذلك تارةً يشهدون عن امّهِ قائلين (اشعيا ٧ : ١٤) : «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً» . ومن ذلك نعلم انهُ قد حُبل بهِ وولد من دون اقتران رجلٍ مع امرأة كذا كان يليق بكلمة الله الذي وُلد من الآب دون امّ أن يولد من امّ دون اب لتكون ولادتهُ الثانية شهادة عن ولادتهِ الاولى . وتارةً يصرّحون لنا فيقولون أنهُ (اش٧: ١٤و٩: ٦) «يُدعى اسمهُ عمانويل وعجيباً ومشيراً وإلهاً قديراً ورئيس السالم» . وتارةً يتكلمون عن عجائبهِ ومعجزاته هكذا (اش ٣٥ : ٤—٦) : «ها ان إلهكم يأتي منتقماً وجزاء الله نفسه يأتي ويخلصكم حينئذٍ تتفتح عيون العميان وتتفتح آذان الصمّ حينئذٍ يقفز الاعرج مثل الغزال ويترنّم لسان الابكم » . وتارةً يعلّمونا عن آلامهِ قائلين (اشعيا ٥٣ : ٥) : « هو يُذبح لاجل خطايانا ويتضع لاجل آثامنا » . ثم عن قيامتهِ يقولون (مز ١٥ : ١٠) : «لانك لم تترك

---

١) كانت عادة المؤمنين لاسيّما الشرقيين ان يتّجهوا في صلاتهم الى الشرق لظهور السيّد المسيح في الشرق ولأن النبي زكريّا (٦ : ١٢) دعاهُ باسم المشرق وانما هذا من باب اللياقة ليس من باب الفرائض

نفسي في الجحيم ولم تعطِ لصفيك ان يرى الفساد» وقال (مز ٢ : ٧) : «والرب قال لي انت ابني وانا اليوم ولدتك» . ثم عن صعوده الى السماء قيل (في مز ٦٧ : ١٩) : «صعدتَ الى العلاء وسبيت سبياً وقبلت مواهب لبني البشر» : وايضاً : (مز ٤٦ : ٦) «صعد الله بالمجد والرب بصوت البوق» . وفي محل آخر قيل عن مجيئه الثاني من السماء (دانيال ٧ : ١٣—١٤) : «وكنت ارى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثلُ ابن بشر جاء ووصل الى القديم الايام وقدّموهُ الى قدامه فأُعطيَ سلطاناً وكرامةً وملكوتاً لتتعبّد لهُ كل الشعوب والامم والالسنة ان سلطانهُ سلطان ابدي لن يزول وملكوتهُ لن ينقضي» . فهذه الآيات وغيرها كثيرة تشهد جليًّا عن يسوع المسيح . ولكن لم أرَ البتة آية واحدة في الانجيل او في الانبياء وغيرهم تشهد عن محمد وعن اعمالهِ واسمهِ

حينئذٍ ملكنا الحليم الوديع اشار اليَّ ان لا اقول اكثر من هذا . ثم سألني تكراراً الم ترَ شهادةً عن محمد عليه السلام ؟

فجاوبتهُ : كلّا ايها الملك محب الله

فسألني : ومن هو الفارقليط (١ ؟

فجاوبتهُ : ان الفارقليط هو روح الله

فسألني الملك : وما هو روح الله ؟

فجاوبتهُ : ان روح الله هو الله ذو الطبيعة الالهية ولهُ خاصة ان ينبثق كما علمنا عنهُ يسوع المسيح

وملكنا المعظم قال لي : ومن هو الذي تكلم عنهُ عيسى عليه السلام ؟

فجاوبتهُ : ان المسيح قال لتلاميذهِ لما صعد الى السماء « أرسل لكم الروح الفارقليط الذي ينبثق من الآب الذي العالم لم يقدر ان يقبلهُ وهو عندكم وفي وسطكم الذي يعرف كل شيء ويفحص كل شيء حتى اعماق الله وهو يذكّركم بجميع الحق الذي قلتهُ لكم . ذاك يمجّدني لانه ياخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٤)

فملكنا قال لي : هذه جميعها تدل عن مجيء محمّد عليه السلام

فجاوبتهُ قائلًا : ان كان محمد هو الفارقليط فالفارقليط هو روح الله فاذاً محمد

---

١) فارقليط لفظة يونانيّة (Παράκλητος) وردت مراراً في الانجيل ومعناها المحامي والمدّي وقد زعم بعض المسلمين انها تصحيف (περικλυτός) بمعنى الشهير اي محمّد

هو روح الله . وروح الله ليس بمحدود كآدم فاذاً محمّد هو غير محدود . والذي هو غير محدود لا يُدرك بالنظر فاذاً محمد لا يُدرك بالنظر . والذي هو غير مدرك بالنظر هو غير مجسّم فاذاً محمّد هو غير مجسّم . والذي هو غير مجسّم هو غير مركّب فاذاً محمّد هو غير مركّب . وان كان محمّد هو مركّب ومجسّم ومنظور ومحدود فليس هو بروح الله والذي ليس هو بروح الله ليس هو الفارقليط فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط هو من السماء ومن طبيعة الآب ومحمّد هو من الارض من طبيعة آدم فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . والفارقليط ايضاً يعرف أعماق الله (١ كور ٢ : ١٠) ولكن محمّد يعترف بانهُ يجهل ايضاً الامور التي تُصنع بهِ وبالذين يؤمنون بهِ فاذاً محمّد ليس هو الفارقليط . ثم ان الفارقليط كان مع الحواريين وفي وسطهم كما قال المسيح اذ كان يخاطبهم (يو١٤ : ١٧) ومحمد لم يكن مع الحواريين ولا في وسطهم . فاذاً ليس هو بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط بعد عشرة ايام لصعود عيسى عليهِ السلام الى السماء تظاهر للحواريين (اعمال٢ : ١—٤) ومحمّد ظهر بعد ستمائة سنة ونيّف فاذاً محمّد ليس بالفارقليط . وايضاً ان الفارقليط علّم الحواريين عن الله انهُ بثلثة اقانيم (يو١٦ : ١٣) ومحمّد لا يعتقد بذلك فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط قد صنع على ايادي الحواريين معجزات كثيرة وآيات متعدّدة ومحمّد لم يصنع آية واحدة على ايدي اصحابهِ وتابعيهِ فاذاً ليس هو بالفارقليط . ثم ان الفارقليط هو مساوٍ للآب والابن بالطبيعة ومن ذلك يُعرف انهُ ايضاً خالق القوّات السماوية مثلما قال داود النبي عن روح الله (مزمور ٣٢ : ٦) : « وبروحهِ خُلقت جميع القوات السموية والارضيّة » والحال ان محمداً ليس هو بخالق فاذاً ليس هو بالفارقليط . فلو كان صار لهُ ذكرٌ في الانجيل لكان ينبغي ان يصرّح عن مجيئهِ واسمهِ وذكر امّتهِ وشعبهِ في الكتب كما يوجد محرّرًا عن مجيء عيسى عليه السلام في التوراة والانبياء بنوع واضح فلا شيء من ذلك مذكور عنهُ البتة وليس لهُ ذكرٌ في الانجيل قط

ولكنا نحب الله قال لي : كما صنع اليهود في عيسى عليهِ السلام وما قبلوهُ هكذا فعل النصارى ايضاً في محمّد عليهِ السلام ولم يقبلوهُ

فجاوبتهُ قائلًا : ان اليهود اذ لم يقبلوا المسيح استحقّوا الجزاء والقصاص لان التوراة والانبياء مشحونة من البراهين والشهادات عنهُ ولكن نحن لم نقبل محمّداً من

حيث ليس لنا برهان واحد عنهُ في كتبنا فلذلك ليس لنا ذنب في هذا

فالملك قال لي: كانت موجودة في كتبكم براهين وشواهد كثيرة عن محمد عليهِ السلام ولكنكم أفسدتم الكتب وحرّفتموها

فجاوبتهُ قائلاً: أيها الملك من أين لكم معلومات بأننا حرّفنا الكتب واين يوجد ذاك الكتاب الخالي من التحريف الذي علمتم منهُ اننا قد حرّفنا كتابنا؟ ائتوا بهِ لنراهُ ونتمسّك بهِ ونترك الكتاب المحرّف. فمن اين اذاً تعرفون بان الانجيل هو محرّف وأيّة فائدة كانت لنا من تحريفهِ؟ فلو وُجد ذكرُ محمد في الانجيل لما كنّا نرفع اسمهُ منهُ بل كنّا نقول: انهُ لم يأتِ بعدُ وليس هو هذا الذي تقولون انتم عنهُ بل نزمع ان يأتي كما ان اليهود لم يستطيعوا ان يحذفوا اسم عيسى عليهِ السلام من التوراة والانبياء بل يخاصموننا قائلين: ان المسيح لم يأتِ بعد الى العالم بل سوف يأتي وبذلك يشبهون العميان الذين ليس لهم عيون وينكرون ظهور الشمس في نصف الظهر. هكذا نحن ايضاً لم نكن نستطيع ان نرفع اسم محمد من الكتاب بل كنّا نحاجّكم عن الزمان وعن الشخص كاليهود. ولكن اقول الحق لو رأيتُ تبرّة واحدة في الانجيل عن مجيء محمد لتركتُ الانجيل وتبعتُ القرآن وكنت انتقل من هذا الى هذا كما انتقلتُ من التوراة والانبياء الى الانجيل

ثم ملكنا قال لي: ماذا تقول عن كتابنا اليس هو منزل من الله؟

فجاوبتهُ قائلاً: ان كان منزلاً من الله لا استطيع ان احكم بذلك ولكن اقول ان كلام الله المسطور في التوراة والانبياء والانجيل والحواريين قد تثبّت كلهُ بآيات ومعجزات كما لا يخفى ايضاً عن رويّتكم ولكن اقوال هذا الكتاب لم تُثبت بآيةٍ واحدة قط. وكان ينبغي ان تظهر بحقهِ آيات ومعجزات اخرى كما ان الله عزّ وجلّ لمّا اراد ان يُبطل العهد العتيق الذي كان قد اثبتهُ بآيات ومعجزات كثيرة ويجعل عوضهُ الانجيل صنع آياتٍ اخرى وعجائب على يد عيسى عليهِ السلام والحواريين تثبّت الانجيل وابطل العهد العتيق. هكذا كان يقتضي ان يصنع معجزات وآيات جديدة لاجل اثبات القرآن وتبطيل الانجيل وذلك لان الآيات والعجائب هي برهان قاطع عن ارادتهِ تعالى ومن ذلك تعلم رويّتكم النتيجة

وملكنا المظفّر قال لي: من هو ذاك الذي قيل عنهُ انهُ شوهد وهو راكب جملاً؟

فجاوبناهُ قائلين : ان هذه الآية أتى بها اشعيا النبي (٢١ : ٧) حيث يقول «فأبصر ركّاباً ازواج فوارس من راكب حمار ومن راكب جمل»

فملكنا سألني : من هو الراكب حمارًا والراكب جملًا ؟ . فجاوبتهُ ان الراكب حمارًا هو داريوش بن احشورش الماديّ والراكب جملًا هو كورش الفارسيّ الذي هو من عيلام وهو ضبط مملكة الماديّين واضافها الى مملكة الفرس . وداريوش المادي قد ضبط مملكة البابليّين واضافها الى مملكة الماديين

وملكنا سالني كيف تثبت ذلك ؟ فجاوبتهُ انني اثبت هذا من سياق الكلام لان النبي اشعيا قد قال سابقاً في ذات الاصحاح المذكور (عد ٢) : «إصعدي يا عيلام وحاصري يا ماداي» . فبعيلام اشار الى كورش الفارسي الراكب جملًا . وبماداي اشار الى داريوش الراكب حمارًا . ثمّ يقول (في العدد ٩) : النبي المشار اليه : «واذا بركب من الرجال وأزواج من الفرسان أتوا . فاجاب وقال : سقطتْ سقطتْ بابل» فيشير جليًا بهذه الآية الى داريوش وكورش لانهما قرّضا مملكة البابليين

ثم سألني ملكنا قائلًا : «لماذا شُبّهت هذه الممالك براكب جمل وراكب حمار ؟

فجاوبتهُ قائلًا : «لان في ناحية الماديّين توجد على الاكثر حمير . وفي ناحية فارس وعيلام توجد جمال . فبدواب الحمير والجمال يشير النبي بالاستعارة الى النواحي . وبالنواحي الى الممالك التي كان عتيدًا ان يخرج منها الملكان المشار اليهما . ثم ان مملكة الماديّين كانت مُزمعة ان تصير رخوة وضعيفة ومملكة الفرس او عيلام كانت عتيدة ان تصير قوية ونشيطة فلذلك شبّه الله مملكة الماديّين بالحمار الرخو والفُرسَ اوعيلام بالجمل القويّ والنشيط . وايضاً دانيال النبي (في الاصحاح ٧ والعددين ٥ و٦) شبّه مملكة الماديّين بالدبّ الرخو ومملكة العيلاميين والفُرس بالنمر السريع الحركة حيث يقول : «واذا بالحيوان الآخر الثاني كشبه الدبّ وقف ناحيةً وفي فمهِ بين اسنانهِ ثلاث أضلع . . . ثمّ كنتُ أنظر واذا الآخر مثل النمر ولهُ اربعة اجنحة مثل الطائر على ظهرهِ» . ثم في دانيال (٢ : ٣٢—٣٣) قد شبّه الله تعالى مملكة الماديّين بالفضّة لانها ليّنة والفُرس والعيلاميين بالنحاس لانهُ صَلب . فاذًا يريد النبي اشعيا بالحمار مملكة الماديّين وبالجمل مملكة الفرس والعيلاميين

وملكنا قال لي: ان راكب الحمار هو عيسى عليه السلام. وراكب الجمل هو محمّد عليه السلام

فجاوبتهُ قائلًا: ان ترتيب الازمنة والامور ينفي نسبة هـذا المعنى الى يسوع ومحمّد في هذا الموضع وتُعلّم الحقيقة من ملاحظة الأزمنة ورؤيات الانبياء فيُستدَلّ بها ان لفظة الحمار تشير الى المادیين ولفظة جمل الى العيلاميّين ولا الى اشخاص آخرين. فربّما عبارة الحمار أطلقها اناسٌ اضطرارًا على يسوع اذ يوجد في موضع آخر مسطور عنهُ في زكريا (ص ٩ عد ٩): «ابتهجي يا بنت صهيون ها هوذا مَلِكُكِ يأتيكِ وهو عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ حمارًا وجحشًا ابن اتان». وامّا عبارة الجمل فلا يمكن ان تُطلَق على محمد البتة

فملكنا قال لي: ولايّ سبب؟

جاوبتهُ لان يعقوب النبي قـال في سفر التكوين (ص ٤٩ عد: ١٠): «لا يزول القضيب من يهوذا (اي قضيب الحكم) والمدبّر من بين رجليهِ (اي ذو النبوّة) حتى يجيءَ الذي لهُ (اي ليسوع المسيح الملك والحكم) ولهُ يكون خضوع الشعوب». فبذلك يبيّن يعقوب المذكور ان بعد مجيءِ عيسى تنتهي الانبياء والنبوّات. وايضاً دانيال النبي قـال (ص ٩ عد: ٢٥): «فـاعلم وأدرِ انهُ من خروج الكـلام لتُبنىَ ايضاً اورشليم الى المسيح القائد سبعة اسابيع واثنـان وستون اسبوعاً. وبعد الاثنين والستّين اسبوعـاً يُقتَل المسيح ولا يكون لهُ وشعبُ الرئيس الآتي يخرب المدينة والقدس». فبذلك بيّن دانيال النبي ان في المسيح تمّ الانبياء والرؤيات. ويسوع نفسهُ قـال ايضاً (متّى ١١: ١٣): «ان جميع الانبياء والتوراة تنبأوا الى يوحنا المعمدان». فاذًا جميع النبوّات التي صارت انتهت بالمسيح ومن بعد المسيح لا تكون نبوّة ولا نبي فالانبياء جميعهم تنبأوا عن يسوع المسيح. والمسيح علّمنا عن ملكوت السماء فلم يَعُد ينبغينا ان نكتسب معرفة اخرى دائر الامور البشرية والارضية بعد اكتسابنا المعرفة عن سرّ اللاهوت وملكوت السماء. لان الانبياء تنبأوا تارةً عن امور هذا العالم وعن ممالكهِ وتارةً عن ظهور كلمة الله بالجسد. وامّا المسيح فانّهُ لم يعلّمنا عن الامور البشرية بل عن الامور الالهية وعن ملكوت السماء كما قلنا. فاذًا ان كانت النبوّات قد انتهت بالمسيح

كما رأينا ومن عهد المسيح فيما بعد يبشر بملكوت الله كقوة يسوع فباطلاً اذاً وعبثاً يكون اعتقادنا في نبوّة اخرى بعد تجسّد كلمة الله المسجود لهُ لان الترتيب الحسن والجيّد هو ذاك الذي يُصعدنا من اسفل الى فوق اي من الأمور البشرية الى الأمور الالهية ومن الارضيّات الى السماويات . واماً النزول من فوق الى أسفل ومن الأمور الالهيّة الى الأمور البشريّة ومن السماويّات الى الارضيّات فهو ترتيب معكوس ومرذول

وملكنا الحليم الملوّ حكمةً قال لي: ماذا تقول عن محمّد ؟

فجاوبتهُ قائلاً : ان محمّداً يستحق المدح من جميع العرب وذلك لاجل سلوكهِ معهم في طريق الانبياء. ومحبّي الله لان سائر الانبياء قد علّموا عن وحدانيّة الله ومحمّد علّم عن ذلك فاذاً هو ايضاً سلك بطريق الانبياء. ثم كما ان جميع الانبياء أبعدوا الناس عن الشرّ والسيّئات وجذبوهم الى الصلاح والفضيلة هكذا محمّد أبعد بني أمّتهِ من الشرّ وجذبهم الى الصّلاح والفضائل فاذاً هو ايضاً قد سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان جميع الانبياء منعوا بني البشر من سجدة الشياطين وعبادة الاوثان وحرّضوهم الى عبادة الله عزّ وجلّ والسجود لجلالتهِ هكذا محمّد منع بني أمّتهِ من عبادة الشياطين والسجدة للاوثان وحرّضهم على معرفة الله والسجود لهُ تعالى الذي هو وحدهُ وليس بإلهٍ آخر سواهُ . فقد اتّضح اذاً ان محمّداً سلك معهم في طريق الانبياء . ثم ان كان محمّد قد علّم عن الله وكلمتهِ وروحهِ فجميع الانبياء تنبأوا عن ذلك فمحمّد اذاً قد سلك في طريق الانبياء . فمن لا يمدح ويكرّم ويبجّل ذاك الذي حارب من اجل الله ليس بالكلام فقط بل بالسيف ايضاً أظهر الغيرة لاجل الباريّ تعالى . وكما فعل موسى النبيّ في بني اسرائيل الذين صنعوا عجلاً من الذهب وسجدوا لهُ فقتل بالسيف واباد جميع الذين سجدوا للعجل هكذا محمّد ايضاً صنع لمّا أظهر الغيرة لاجل الباريّ سبحانهُ تعالى فالذين كانوا يتبعونهُ في اكرام الله ومخافتهِ كان يمجّدهم ويكرّمهم ويمدحهم ويعدهم ايضاً بالخير والمجد والاكرام من لدن الله في هذا العالم وفي الآخرة بالجنّة والذين كانوا يعبدون الاصنام ويسجدون لها كان يحاربهم وينذرهم بعذابٍ أليم في نار الجحيم التي بها يحترق المنافقون وهم فيها خالدون . وكما فعل ابرهيم خليل الله الذي ترك الاوثان وابناء جنسهِ وتبع الله وسجد لهُ فصار يعلّم وحدانيّة الله للأمم هكذا صنع ايضاً

محمد لما ترك سجدة الاوثان والذين كانوا يسجدون لها من بني جنسه وغيرهم من الغرباء. فاكم فقط ذاك الذي هو وحده إله الحق وسجد له لاجل ذلك عظمه الله تعالى جداً واخضع تحت مواطئ قدميه الدولتين القويتين اللتين كانتا تزأران كالاسد وكالرعد فكان يسمع في العالم صوت كليهما أعني دولة الفرس ودولة الرومانيين فالأولى كانت تسجد للمخلوقات عوض خالقها والاخرى كانت تنسب آلاماً وموتاً لذاك الذي لا يتألم ولا يموت (١ مطلقاً فوسع الله تعالى سلطنة مملكته بيد أمير المؤمنين واولاده من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب فمن لا يمدح أيها الملك المظفر ذاك الذي مجده الله وبجله ؟ فذلك ما نقوله عن محمد أيها الملك المظفر

وملكنا قال لي: فاذاً ينبغي لك ان تقبل كلام النبي

فجاوبته: عن اي كلام يقول ملكنا ؟

فقال لي الملك: الكلام الذي يقوله عن الله انه واحد وليس آخر دونه

فجاوبته قائلاً ان الاعتقاد بإله واحد قد تعلمته ايها الملك من التوراة والانبياء والانجيل وبه انا متمسك ومن اجله أموت

وملكنا المظفر قال لي: انك تؤمن وتعتقد باله واحد كما قلت ولكن تقول ان هذا الإله هو مثلث وواحد

فجاوبته: لا أنكر ذلك ايها الملك بل اعترف باله واحد وهو مثلث ولكن ليس مثلث بالألوهية بل باقانيم حكمته وروحه وانه ايضاً مثلث وواحد ولكن ليس واحداً بالاقانيم بل بالالوهية كما ثبتنا ذلك آنفاً

فملكنا المظفر قال لي: لماذا انتم تسجدون للصليب؟

فجاوبته قائلاً: أننا نسجد للصليب لانه علة الحياة

(له صلة)

---

١) اشار بذلك الى الشيعة المتوفيسيتية او اليعقوبية القائلة بوحدة الطبيعة في السيد المسيح. فكان اصحابها ينسبون آلامه وموته الى الطبيعة اللاهوتية. وتبعهم في ذلك بعض ملوك الروم